البراءة من المشركين عند الرافضة

أ. د. ناصر القفاري
@prof_alqefari

يكثر حديث الروافض عن مسألة البراءة من المشركين في عصرنا، حتى أصبحت هذه القضية محور حديث آياتهم، وصار إعلانها في موسم الحج وفي البقاع الطاهرة عبر مسيرات حجاج الرافضة قطب اهتمامهم منذ قيام دولتهم، فلا تخلو سنة في الفترة الأخيرة من دعوة إلى ما يسمى بالبراءة أو القيام بتظاهرات البراءة.

كما كثر تـداول هـذا المصطلح في وسـائل الإعلام المختلفـة، وكثير من الناس لا يعلمـون حقيقة «البراءة من المشركين وموالاة المؤمنين» في مفهوم الرافضة، وما يتضمنه مـن مبادئ، وما يترتب على إعلانـه والمطالبة به من آثار؛ لأن مصطلـح «الولاء والبراء» من المصطلحات الشـرعية، فلا يخطر ببال كثير من المسـلمين المفاهيم الباطنية لهذا المصطلح.

ولخفاء مقاصد الشـيعة الرافضة وأهدافهم من وراء هذه الدعـوة قال بعضهم ردًّا عليهم - عند رفعهم شـعار البـراءة من المشـركين في بلد الله الحـرام مكة وفي أيام الحـج -: «لا حاجة إلى إعلان البراءة؛ لأن مكة اليوم ليس فيها وثن يعبد، ولا مشـهد يقصد، ولا يوجد فيها للشـرك مظهر ولا مخبر».

قلـت: وهذا أمر في غاية الوضوح، فإن البراءة لم تعلن في الحج سـوى مرة واحدة في السنة التاسعة، فلم يفعلها رسـول الله ﷺ في حجته في السـنة العاشرة، ولا أبو بكر ولا عمر ولا عثمـان ولا علي - رضي الله عنهم -، وتبعهم خلفاء المسلمين من بعدهم، وتم إعلانها في الحج في السنة التاسـعة لغاية بينة ومعلنة تم تحقيقها، وهي منع المشركين من الحج.

لكن الروافـض لا يريدون البراءة من المشـركين وفق المعنى الشـرعي وبمقتضى النهج النبوي، إنهم يريدون غير ذلك تمامًا، وكثير من الناس في غفلة عما يريدون وفي جهل ممن يتبرءون؟ ولا يعرفون حقيقة الشـرك الذي يقصدون وأهدافهم من وراء ذلك.

فكان لا بد من كشف الحقائق المجهولة والأسرار الخفية لمبدأ البراءة من المشـركين عند الروافض، وذلك من خلال النقل الأمين من أصولهم المقدسـة عندهم، وعرض أقوال آياتهم ومراجعهم المعاصرين المعتمدين لديهم؛ نصيحة لأمة الإسلام وأئمتهم، وكشفًا لمكر الباطنيين وألاعيبهم التي قد تخفى لا على عموم المسلمين فحسب، بل تخفى على بعض المخدوعين بهم من أتباعهم، فإن جملة من أتباعهم في غفلة عما يراد بهم وفي جهل بحقيقة نحلتهم.

ومما يؤكد ضرورة إيضاح حقيقة هذا المصطلح وكشف باطن هـذا الاعتقاد ما رأيت من خـوض كثير من الكُتاب والمعلقـين في هذه المسـألة بجهل لحقيقتهـا وقصور عن معرفـة أهدافها، وأعظم من ذلك إصـرار الروافض على إعلان البراءة وقيام مسيرات البراءة في أفضل زمن (الأيام العشـر الأول من ذي الحجة)، وفـي أطهر بقعة (حرم الله وبيته الطاهر) وفـي بلد التوحيد، وبين جماهير الموحدين، وبلا نكير عام من عموم المسلمين، وذلك لجهل عموم الأمة بحقيقة هذا المصطلح وخفاياه.

وإلا فلا أعتقد أن مسـلمًا يرضى بأن يعلن على صعيد حرم الله الآمن، وفي المشاعر المقدسة، وأيام الحج الفاضلة، وبين الحجـاج والمعتمرين.. يعلن الكفر والظلم والفسـوق والعصيان، بل يعلن ذلك تحت سـتار اسـم شرعي عظيم، إن هذا لمنتهى الجرأة من أهـل الباطل في إعلان باطلهم، واستغفال المسـلمين عن حقيقة أمرهم، والهزء والسخرية بأصول التوحيد ومبادئه ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [البقرة: ١٥].

والحقيقـة الباطنيـة الخفية هي أنهـم يريدون معنى يناقض الشـعار الذي أعلنوه، ويسعون لتحقيق هدف غير الـذي أظهروه، ويرمون إلى غاية يسـتنكرها كل مسـلم، ومع ذلك يأتي الرد على إعـلان البراءة من بعض الجهات الإسـلامية بالقول: «إن مكة لا يوجد فيها مشـرك، وليس فيها صنم يعبد، فلا حاجة إلى إعلان البراءة من المشركين فيها»!! إن هذه الإجابة ومثيلاتها تجعل الروافض يرقصون طربًا، فتقيتهم أدت دورها، وكأن لسان حال هذا المجيب يقر بأن غرض الروافض هو حقيقة البراءة من المشركين بمعناها الشـرعي، وما دامت مكة خالية من الشرك ومظاهره فلا حاجة إذن لإعلان البراءة!!

أوَما علم أن الشرك غير مستنكر في دين الروافض، بل هو من أصول دينهم[١]، بل هم أول من أحدث عبادة المشاهد في أمة محمد ﷺ[٢]، وأول من وضع المصنفات فيما سموه: «مناسك المشـاهد»[٣]، وأشد ما يقض مضاجعهم في أرض الحرمين اختفاء مظاهر الوثنية في مشاعرها[٤].

(١) انظر: أصول مذهب الشيعة ٢/ ١ وما بعدها.
(٢) انظر: الرد على الأخنائي ص٤٧.
(٣) بلغت مصنفاتهم في المزار ومناسكه ستين مؤلفًا، كما ذكر ذلك شيخهم أغا بزرك الطهراني في الذريعة. انظر: الذريعة إلى تصانيف الشيعة ٢٠/ ٣١٦-٣٢٦.
(٤) انظر ما يقوله آيتهم الخراساني في تمني كل شيعي فتح مكة والمدينة لنشر الشرك وإعلان الوثنية، وذلك في كتابه: الإسلام على ضوء التشيع ص١٣٢-١٣٣.

مفهوم البراءة وأهميتها عند الرافضة:

إن مسألة البراءة من المشركين أحد المبادئ الأساسية في كيان الرافضة العقدي، وأصل من الأصول المهمة في بنية المذهب الإثنى عشري، وتحظى باهتمام كبير في اعتقادهم، وكثرت في تقريرها والدعوة إليها نصوصهم، حتى عدوها من ضرورات المذهب التي لا يستغنى عنها مطلقًا، يقول شيخهم المجلسي[1] المتوفى سنة ١١١١هـ - الذي يعده بعضهم مؤسس مذهب الشيعة بوضعه الحاضر[2] - وهو يبين أهميتها ويشرح حقيقتها في رسالته «الاعتقادات»[3]: «ومما عدّ من ضروريات دين الإمامية[4]... البراءة من أبي بكر وعمر وعثمان ومعاوية»[5]، فهذا النص من نصوص اعتقادهم يتضمن أصلين:

الأول: أن البراءة من ضرورات دينهم.

والثاني: أن مفهوم البراءة عندهم هو البراءة من خلفاء المسلمين، ابتداء من أفضلهم وهو أبو بكر - رضي الله عنه - صديق هذه الأمة، الذي لو وزن إيمانه بإيمان الأمة لرجح بهم، ثم فاروق هذه الأمة وفخرها عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - الذي لم يفر في الإسلام فريه أحد، ثم ذو النورين عثمان - رضي الله عنه - صاحب الجود والحياء مجهز جيش العسرة، والذي بايع عنه النبي ﷺ في بيعة الرضوان.

وبهذا يظهر أن مرادهم بالبراءة من المشركين البراءة من أفضل الخلق بعد النبيين، وسائر خلفاء المسلمين بعدهم من باب أولى إلى أن تقوم الساعة، ولا يستثنون سوى علي والحسن.

ومسألة البراءة في دينهم تصل إلى مرتبة الضروريات - كما ترى في كلام المجلسي -، وما كان كذلك في اصطلاحهم ومقياسهم فإنكاره كفر، ولذا قرر شيخهم المجلسي حين ذكر هذه المسألة أن منكر الضروري خارج عن دينهم «ملحق فاعله بالمخالفين، ويخرجه عن التدين بدين الإمامية»[6]، ولذا يؤكد شيخهم المعاصر وأحد آياتهم المعدودين محسن الأمين في كتابه كشف الارتياب أن «منكر الضروري عندهم كافر بلا ارتياب»[7].

مفهوم الشرك عند الرافضة:

إن للشرك مفهومًا خاصًا ينفرد به هؤلاء لا يشاركهم فيه أحد من المسلمين، وللتوحيد معنى خاص كذلك، فالتوحيد عندهم هو إفراد الأئمة بالإمامة، والشرك عندهم هو الشرك مع الأئمة في الإمامة[8].

فمادة «الشرك» في القرآن في جميع مواردها تؤول - بل تحرف - عندهم إلى كل من لم يعتقد إمامة أمير المؤمنين والأئمة من ولده - عليهم السلام - وفضل عليهم غيرهم[9]، فالشرك عندهم هو القول بإمامة أحد غير أئمتهم حتى ولو كانوا من الصحابة الأبرار، والتوحيد عندهم هو إفراد أئمتهم الاثني عشر بالإمامة، ولذا نجد نصوصًا كثيرة عندهم تقول: «من أشرك مع إمام إمامته من عند الله مَن ليست إمامته من الله كان مشركًا»[10]، ولذا قال شيخهم أبو الحسن الشريف: «إن الأخبار (يعني أخبارهم) متضافرة في تأويل الشرك بالله والشرك بعبادته بالشرك في الولاية الإمامية»[11].

وقال المجلسي: «إن آيات الشرك ظاهرها في الأصنام، وباطنها في خلفاء الجور الذين أشركوا مع أئمة الحق ونصبوا مكانهم، يقول سبحانه: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى ۝١٩ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى﴾ [النجم: ١٩، ٢٠] أريد في باطنها باللات الأول، وبالعزى الثاني، وبمناة الثالث، حيث سموهم بأمير المؤمنين وبخليفة رسول الله وبالصديق والفاروق وذي النورين، وأمثال ذلك»[12]. وقال: «اعلم أن إطلاق لفظ الشرك والكفر على من لم يعتقد إمامة أمير المؤمنين والأئمة من ولده وفضل عليهم

---

(١) محمد باقر بن محمد المجلسي هو عندهم شيخ الإسلام والمسلمين، خاتم المجتهدين.. ولهم في تعظيمه وتقديسه غلو كثير. انظر من كتبهم: جامع الرواة للأردبيلي ٢/٧٨، أمل الآمل للحر العاملي ٦٠، لؤلؤة البحرين للبحراني ٤٤ لتدرك من خلال ذلك أن الرجل عمدة في دينهم، فإذا أخبر عنه فهو الخبير به.

(٢) وهو الإمام الدهلوي، صاحب التحفة الإثنى عشرية.

(٣) انظر في التعريف بها وقدرها عندهم: الذريعة إلى تصانيف الشيعة لشيخهم أغابزرك الطهراني ٢/٢٢٤-٢٢٥.

(٤) انظر: كيف يستخدم كلمة «دين» ليشير إلى أن ما عليه الإمامية دين مستقل بذاته فهو دين الإمامية كما يسميه، وليتهم يقتصرون على هذا الاسم اليوم إذن لأراحوا واستراحوا ولم يفتنوا المسلمين ويلبسوا عليهم دينهم.

(٥) الاعتقادات ٩٠-٩١.

(٦) المصدر السابق ٩٠.

(٧) كشف الارتياب المقدمة الثانية، وانظر الموسوي السيزواري. (تهذيب الأحكام ١/٣٨٨-٣٩٣).

(٨) انظر (فصل عقيدتهم في توحيد الألوهية) في: أصول مذهب الشيعة ٢/٤٢٥ وما بعدها.

(٩) بحار الأنوار ٢٣/ ٣٩٠.

(١٠) الغيبة للنعماني ٨٢، بحار الأنوار ٢٣/٧٨.

(١١) مرآة الأنوار ٢٠٢، وانظر جملة من هذه النصوص في أصول الكافي ١/٤٣٧.

(١٢) بحار الأنوار ٤٨/ ٩٦.

غيرهم يدل على أنهم كفار مخلدون في النار»[١].

وقال مفيدهم: «اتفقت الإمامية على أن من أنكر إمامة أحد من الأئمة، وجحد ما أوجبه الله تعالى له من فرض الطاعة فهو كافر ضال مستحق للخلود في النار»[٢].

وقد فسروا كل نصوص القرآن المتعلقة بالنهي عن الشرك والأمر بالتوحيد وفق اعتقادهم هذا[٣].

ممن يتبرأون؟

وبراءتهم تبدأ بخلفاء المسلمين، ثم تتوجه إلى قضاة المسلمين وعلمائهم، وتصل إلى الفرق الإسلامية كلها معتدلها وغاليها، وتتجاوز ذلك إلى أمصار المسلمين، ثم تشمل في النهاية الأمة الإسلامية كلها، ولا يستثنون سوى أقزام التاريخ الزنادقة من شيوخهم وملاليهم[٤].

يقول شيخهم الملقب عندهم بالصدوق في كتابه «الاعتقادات»[٥]: «واعتقادنا في البراءة أنها واجبة من الأوثان الأربعة: يغوث ويعوق ونسر وهبل»[٦].

ولعلك تلاحظ الفرق بين تعبير المجلسي السابق وتعبير صدوقهم، فالمجلسي يصرح بأسماء خلفاء المسلمين، وصدوقهم يستعمل لغة الرمز ، ذلك أن الأول يعيش في ظل دولة شيعية (رافضية) ذات سلطة قوية تشاركه وتؤيده في مذهبه، وهي الدولة الصفوية فهو شيخها وإمامها، أما الآخر فإنه يكتب كتابه في ظل قوة دولة الإسلام وهيبتها، فيشير إلى مراده بالرمز الذي يعرفه أصحابه؛ لأنه يخشى من دولة الخلافة، ويتقي غضبة أهل الإسلام.

وهذا له أمثلة كثيرة، حيث تجد كثيرًا من نصوص الروافض الأوائل تتبرقع بالتقية، وتختفي خلف اللغة الباطنية التي هي لغة الخطاب عندهم وأساس دينهم ونحلتهم.

كما اختفوا اليوم في ظل دولة التوحيد بمصطلح «البراءة من المشركين»، ومرادهم البراءة من الموحدين حكامًا ومحكومين، والبراءة من عقيدة التوحيد، فالأوثان الواردة في كلام الصدوق التي رمز لها بأسماء أصنام مشهورة هي بعينها أسماء الخلفاء الراشدين التي ذكرها المجلسي صريحة. ولعلك أخي القارئ تتأمل نص صدوقهم فترى من خلاله ملامح التقية، وأمارات الخداع، أو قل: لحن القول المتعارف عليه بينهم، فتراه حصر الأوثان بأربعة ليشير من طرف خفي إلى مرامه، وإلا فإن عقيدة المسلم وجوب البراءة من جميع الأوثان بلا حصر، فالأوثان كثيرة، والطواغيت لا حصر لها، لكن مرادهم الأساسي البراءة من أفضل الخلق بعد النبيين، ومَن دونهم من جموع المسلمين الموحدين من باب أولى، ورمزوا لهم بمصطلح «المشركين».

رموزهم في التعبير عن البراءة:

وقد تختلف الرموز عندهم في التعبير عن براءتهم من هؤلاء الأئمة، ففي نص آخر لهم: «قلت (الرواي يقول لإمامهم): ومن أعداء الله أصلحك الله؟ قال: الأوثان الأربعة. قال: قلت: من هم؟ قال: أبو الفصيل، ورمع، ونعثل، ومعاوية، ومن دان دينهم، فمن عادى هؤلاء فقد عادى أعداء الله»[٧].

ويأتي المجلسي ليكشف المراد بهذه الرموز؛ لأنه يعيش في جو ترتفع فيه التقية التي يلوذ بها هؤلاء كلما لاح لهم مطمع أو دنا منهم خوف أو راموا خداعًا لأحد، يقول المجلسي: «أبو الفصيل: أبو بكر؛ لأن الفصيل والبكر متقاربان في المعنى، ورمع مقلوب: عمر، ونعثل: عثمان»[٨].

وحينًا يرمزون إلى عظماء الإسلام بالإشارة إلى قبائلهم كقولهم: «والبراءة من الأحزاب: تيم (يعنون أبا بكر)، وعدي (يعنون عمر)، وأمية (يعنون عثمان)، وأشياعهم وأتباعهم»[٩].

ورموزهم وإشاراتهم للوصول إلى أغراضهم وإشاعة مفاهيمهم متنوعة، فلو رجعت إلى مصادرهم رأيت الطوام، وسترى أن ما كتبه شيوخ الشيعة في ظل الدولة الصفوية كان فيه التكفير لأفضل أصحاب محمد ﷺ صريحًا ومكشوفًا، وما كتبه أوائل الشيعة في عصر الكليني وما بعده كان التكفير فيه مستورًا بلغة الرمز، وقد كشف أقنعة هذه الرموز شيوخ الشيعة المتأخرون حينما ارتفعت التقية إلى حد ما، وظهرت الإثنى عشرية على حقيقتها.

(١) بحار الأنوار ٢٣/ ٣٩٠.
(٢) بحار الأنوار ٢٣/ ٣٩٠.
(٣) انظر: أصول الكافي ١/ ٤٣٧.
(٤) انظر تفصيل ذلك في: أصول مذهب الشيعة ٢/ ٣٣٥-٤٠٠.
(٥) وهو المسمى عندهم «دين الإمامية» والذي هو عمدة في بيان أصول دينهم ومن المراجع المعتبرة عند محققيهم، وقد عده عالمهم المعاصر محمد جواد مغنية رئيس المحكمة الجعفرية ببيروت من المراجع الأساسية لمعرفة المذهب الشيعي (انظر: الشيعة في الميزان ص١٤).
(٦) الاعتقادات ١١٤.
(٧) تفسير العياشي ٢/ ١١٦، بحار الأنوار ٢٧/ ٥٨.
(٨) بحار الأنوار ٢٧/ ٥٨.
(٩) بحار الأنوار ١٨/ ٢٣٢.

تقول مصادرهم عند قوله سبحانه: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ﴾ [الحجر: ٤٤] عن أبي بصير جعفر بن محمد - عليه السلام - قال: «يؤتى بجهنم لها سبعة أبواب، بابها الأول للظالم وهو زريق، وبابها الثاني لحبتر، والباب الثالث للثالث، والرابع لمعاوية، والباب الخامس لعبدالملك، والباب السادس لعسكر بن هوسر، والباب السابع ابن سلامة فهم أبواب لمن تبعهم»[١].

قال المجلسي في تفسير هذا النص: «زريق: كناية عن الأول؛ لأن العرب تتشاءم بزرقة العين، والحبتر هو الثعلب، ولعله إنما كنى عنه لحيلته ومكره، وفي غيره من الأخبار وقع بالعكس وهو أظهر، إذ الحبتر بالأول أنسب، ويمكن أن يكون هنا أيضًا المراد ذلك، وإنما قدم الثاني؛ لأنه أشقى وأفظ وأغلظ، وعسكر بن هوسر كناية عن بعض خلفاء بني أمية أو بني العباس، وكذا ابن سلامة كناية عن أبي جعفر الدوانيقي، ويحتمل أن يكون عسكر كناية عن عائشة وسائر أهل الجمل، إذ كان اسم جمل عائشة عسكرًا، وروي أنه كان شيطانًا»[٢].

كما يرد في كثير من نصوصهم الإشارة إلى العظيمين أبي بكر وعمر بقولهم: «فلان وفلان» كما في روايتهم التي تقول: عن أبي عبدالله في قوله: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ [البقرة: ١٦٨] قال: «وخطوات الشيطان والله ولاية فلان وفلان»[٣].

وفي قوله سبحانه: ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ﴾ قالوا: فلان وفلان، ﴿فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ﴾ يعني: نعثل، ﴿مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ﴾ طلحة والزبير، ﴿ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾ [النور: ٤٠] معاوية[٤]. قال المجلسي: «المراد بفلان وفلان أبو بكر وعمر، ونعثل هو عثمان»[٥].

ومن رموزهم أيضًا في حق الشيخين أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما - ما جاء في تأويلهم سورة الشمس وفيها: «﴿وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا﴾ [الشمس: ٣] هو قيام القائم ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا﴾ [الشمس: ٤] حبتر ودلام غشَّيا عليه الحق»[٦].

قال شيخ الدولة الصفوية - في زمنه - (المجلسي): «حبتر ودلام: أبو بكر وعمر»[٧].

(١) تفسير العياشي ٢/٢٤٣، البرهان ٢/٣٤٥.
(٢) البحار ٤/٣٧٨، ٨/٢٢٠.
(٣) تفسير العياشي ١/١٠٢، البرهان ١/٢٠٨، تفسير الصافي ١/٢٤٢.
(٤) تفسير القمي ٢/١٠٦، بحار الأنوار ٢٣/ ٣٠٤-٣٠٥.
(٥) بحار الأنوار ٢٣/٣٠٦.
(٦) كنز الفوائد ٢٨٩-٣٩٠، بحار الأنوار ٢٤/٧٢-٧٣.
(٧) بحار الأنوار ٢٤/٧٣.

وهكذا تجد أن لغة الرموز في نصوص أوائلهم كشف حقيقتها وفضح الشيعةَ من خلالها متأخروهم من شيوخ الدولة الصفوية[٨].

ويضيف صدوقهم أيضًا - في تقرير مسألة البراءة وبيان مفهومها عندهم - رمزًا آخر غير رمز المشركين هو رمز الظالمين فيقول في «باب الاعتقاد في الظالمين»: «اعتقادنا فيهم أنهم ملعونون والبراءة منهم واجبة»[٩].

ثم فسر مرادهم بالظلم والظالمين بقوله: «الظلم: وضع الشيء في غير موضعه، فمن ادعى الإمامة وهو غير إمام فهو الظالم الملعون، ومن وضع الإمامة في غير أهلها فهو ظالم ملعون»[١٠]. فقوله: «فمن ادعى الإمامة» حكم على جميع خلفاء المسلمين وحكامهم من أبي بكر إلى نهاية الدنيا بأنهم ظالمون ملعونون، والبراءة منهم واجبة، ولا يستثنون من هذا الحكم سوى علي والحسن، والولي الفقيه النائب عن مهديهم المزعوم الموهوم المعدوم الذي ينتظرونه منذ مئات السنين.

وقوله: «من وضع الإمامة في غير أهلها» حكم آخر على من بايع هؤلاء الخلفاء ورضي بحكمهم واعتقد وجوب طاعتهم بالمعروف من شعوب المسلمين من صحابة رسول الله ﷺ وتابعيهم إلى أن تقوم الساعة بأنهم ظالمون ملعونون، والبراءة منهم واجبة.

نماذج من نصوصهم في البراءة:

والناظر في مصادرهم المعتمدة يجد هذا المفهوم الباطني للبراءة يتردد عبر العشرات من نصوصهم، مما يدل على أهميته ومكانته في دينهم.

جاء أحدهم فقال لإمامه: «أسألك عن الرجلين [يعني صديق هذه الأمة وفاروقها] فقال: ما أهريق في الإسلام محجمة من دم، ولا اكتسب مال من غير حله، ولا نكح فرج حرام إلا وذلك في أعناقهما إلى يوم القيامة حتى يقوم قائمنا، ونحن معاشر بني هاشم نأمر كبارنا وصغارنا بسبهما والبراءة منهما»[١١].

(٨) انظر أيضًا: تفسير القمي الذي هو أصل التفاسير عندهم يرمز للشيخين بفلان وفلان [تفسير القمي ١٠/٣٠١]، ولكن حينما ينقل شيخهم الكاشاني هذا النص يصرح بالاسمين [تفسير الصافي ٢/٣٥٩].
(٩) الاعتقادات ص١١٢.
(١٠) المصدر السابق ١١٢-١١٣.
(١١) انظر: بحار الأنوار ٤٧/ ٣٢٣.

فمفهـــوم البراءة هنا جلي واضـــح فهو يعني البراءة من خلفاء وحكام المسلمين وفي مقدمتهم أبو بكر، وعمر – رضي الله عنهما –.

وهي عقيدة يربى عليها الصغيـــر ويهرم عليها الكبير، ولذا يؤكدون على هذا التبرؤ في نصوص تدعو إلى «التدين بلعنهم والبراءة منهم إلى آخـــر الزمان»[1]، وتقرر أن عمدة الإيمـــان ولاية الأئمة والبـــراءة من أعدائهـــم، إذ بهما يتم الإيمان، وبدونهما لا ينفع شيء من العقائد والأعمال[2].

ويعقدون في كتبهم أبوابًا تتضمن البراءة من المســـلمين، ولاسيما أهل السنة، ففي الوسائل: «باب وجوب البراءة من أهل البدع وسبهم وتحذير الناس منهم»[3].

وفيـــه: «إذا رأيتم أهل البدع والريب من بعدي فأظهروا البراءة منهم، وأكثروا من سبهم»[4].

ودرجة البراءة منهم تبلغ درجة البراءة من الشـــيطان أكبر عدو للإنسان حيث قالوا: «والبراءة والعداوة لمن عاداهم وشاقهم كعداوة الشيطان الرجيم والبراءة ممن شايعهم وتابعهم»[5].

وإذا كان الأصل المقرر في دين الإسلام أنه ﴿لَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْـرَى﴾ [النجـم: ٣٨] فإن براءتهـــم تتجاوز هذا القانون العادل لتأمر ببراءة شـــاملة فتقول: لا بد من «البراءة منهم كائنًا من كانوا: آبائهم وأمهاتهم وذوي قراباتهم»[6].

ويقولـــون: إن من لم يتبرأ من أبـــي بكر وعمر وعثمان وأتباعهم فهو عدو وإن أحـــب عليًا، وبالتالي فليس له غير اللعن والتبري والتكفير، جاء في الوســـائل وغيره من كتبهم: «عـــن إســـماعيل الجعفي قـــال: قلت لأبي جعفـــر – عليه الســـلام –: رجل يحب أمير المؤمنـــين ولا يتبرأ من عدوه، ويقول: هو أحب إليَّ ممن خالفـــه؟ فقال: هذا مخلِّط وهو عدو، فلا تصل خلفه ولا كرامة إلا أن تتقيه»[7].

ولا يخطر ببالك أنهم يريـــدون بالعدو في قولهم: «ولا يتبرأ من عدوه» عدو المسلمين، بل هم يريدون خلفاء رسول الله ﷺ الراشـــدين المهديين ومن تبعهم إلى يوم الدين فهم الأعـــداء في اصطلاحهم، ولذا قال المجلســـي عن أبي بكر وعمر وعثمان: «إنهم لم يكونوا إلا غاصبين جائرين مرتدين، لعنة الله عليهم وعلى من تبعهم من الأولين والآخرين»[8].

وعقد بابًا في هذا الشـــأن بعنوان: «بـــاب كفر الثلاثة ونفاقهم وفضائح أعمالهم»[9].

وتوجه مصادرهم عبر أدعية خاصة إلى براءة شاملة تتناول البراءة من أفضل الأمة بعد النبيين ثم من شايعهما من الأولين والآخرين، أي البراءة من جميع المسلمين، فمن أدعيتهم: «اللهم العن اللذين بدلا دينك وغيَّرا نعمتك... اللهم العنهما لعنًا يتلو بعضه بعضًا، واحشـــرهما وأتباعهما إلى جهنم زرقًا، اللهم إنا نتقرب إليك باللعنة عليهما والبراءة منهما في الدنيا والآخرة» إلـــى أن يقول: «اللهم العنهما لعنًـــا يلعنهما به كل ملك مقرب، وكل نبي مرسل، وكل مؤمن امتحنت قلبه للإيمان، اللهم العنهما لعنًا يتعوذ منه أهل النار ومـــن عذابهما، اللهم العنهما لعنًا لا يخطر لأحد ببال، اللهم العنهما لعنًا في مستسر سرك وظاهر علانيتك، وعذبهما عذابًا في التقدير وفوق التقدير، وشـــارك معهما ابنتيهما وأشياعهما ومحبيهما ومن شايعهما...»[10].

فدين هؤلاء الروافض دين اللعن والتكفير لأهل الاسلام الذين فتحوا بـــلاد هؤلاء المجوس وأطفأوا نار المجوســـية ونشروا الإسلام بينهم.

وقد أوجبوا هذه البـــراءة على جميع أتباعهم ولا يعفى من القيام بها أحد منهم، بل إن من والى الأئمة وأحبهم ولم يقم بطقوس البراءة فهـــو كاذب عندهم، «قيل للصادق: إن فلانًـــا يواليكم إلا أنه يضعف عن البراءة من عدوكم، فقال: هيهات!! كذب من ادعى محبتنـــا ولم يتبرأ من عدونا»[11]. لكن من قـــام بواجب البراءة فقد أدى الذي عليه «قال رجل للصـــادق: إني عاجز ببدني عن نصرتكم، ولســـت أملك إلا البراءة من أعدائكم واللعن فكيف حالي؟ فقال الصادق – كما يفترون –: حدثني أبي عن أبيه عن جدي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من ضعف عن نصرتنا أهل البيت فلعن في خلواته

---

(١) انظر: بحار الأنوار ٥٣/ ١٣٢.
(٢) بحار الأنوار ٦٩/ ٢٤١.
(٣) وسائل الشيعة ١٦/ ٢٦٦.
(٤) وسائل الشيعة ١٦/ ٢٦٧، الكافي ٢/ ٣٧٥.
(٥) بحار الأنوار ٢٢/ ٣١٥.
(٦) بحار الأنوار ٢٤/ ٣٨٢.
(٧) وسائل الشيعة ٥/ ٣٨٩، وانظر: تهذيب الأحكام ١/ ٢٥٣، من لا يحضره الفقيه ١/ ١٢٦.
(٨) بحار الأنوار ٤/ ٣٨٥.
(٩) بحار الأنوار، الجزء الثامن من الطبعة الأولى. وهذا الباب يقع في الجزء الثامن من البحار، ولقد صار هذا الباب وأمثاله في هذا الجزء إحدى الفضائح الكبرى لهذه الطائفة، ولذا سارع شيوخهم فمنعوا طبعه حتى لا يطلع المسلمون على سوءاتهم وفضائح أعمالهم.
(١٠) بحار الأنوار ٥/ ١٣٩.
(١١) بحار الأنوار ٢٧/ ٥٨.

أعداءنا بلغ الله صوته جميع الأملاك من الثرى إلى العرش»[1].

بل إن من الملائكة - بزعمهم - من لا شغل لهم إلا البراءة واللعن يقولون: «إن حول العرش تسعين ألف ملك ليس لهم تسبيح ولا عبادة إلا الطاعة لعلي والبراءة من أعدائه»[2].

بل هناك عوالم أخرى مهمتهم البراءة واللعن «خلف مغربكم هذا تسعة وثلاثون مغربًا أرضًا بيضاء مملوءة خلقًا.. يتبرؤون من فلان وفلان»[3].

وقد فطر الله البشر - بزعمهم - على هذه البراءة «إن الله لم يخلق أحدًا إلا وأخذ عليه الإقرار بالوحدانية والولاية للذرية الزكية والبراءة من أعدائهم»[4]. وهي رسالة الأنبياء جميعًا «ما بعث الله نبيًّا قط إلا بولايتنا والبراءة من عدونا»[5]. وهي مقتضى الهداية ومفارقتها عنوان الضلالة ففي قوله سبحانه: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ [البلد: ١٠] قالوا: إلى ولايتهم جميعًا، وإلى البراءة من أعدائهم جميعًا[6].

والبراءة من المسلمين، بل من خُلَّص المسلمين وهم صحابة رسول الله ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين تصاغ بعبارات تكشف اعتقادهم في أهل الإسلام ونظرتهم إلى عموم المسلمين من جهة، ومن جهة أخرى قد تضلل من لا يعرف حقيقة أمرهم، ولا يدرك خفايا معتقدهم حيث يصفون المسلمين بأعداء أهل البيت والظالمين لهم، يقولون مثلًا: «والبراءة من أعدائهم واجبة، ومن الذين ظلموا آل محمد، وهتكوا حجابه، وأخذوا من فاطمة فدك، ومنعوها ميراثها، وغصبوها وزوجها حقوقهما، وهموا بإحراق بيتها، وأسسوا الظلم، وغيروا سنة رسول الله - صلى الله عليه وآله -، والبراءة من الناكثين والقاسطين والمارقين واجبة، والبراءة من الأنصاب والأزلام أئمة الضلال وقادة الجور كلهم أولهم وآخرهم واجبة...»[7].

البراءة عند الشيعة المعاصرين وولاية الفقيه:

هذه المصادر التي نقلنا منها تلك النصوص هي المصدر الأساس للتلقي عند المعاصرين، ويسمونها «صحاح الإمامية»[8]

(١) بحار الأنوار ٢٧/٢٢٢، ٥٠/٣١٥.
(٢) بحار الأنوار ٤٠/٩٥.
(٣) بحار الأنوار ٢٧/٤٥.
(٤) بحار الأنوار ٢٤/٣٣.
(٥) بحار الأنوار ٢٦/٢٢٩.
(٦) بحار الأنوار ٢٤/ ٢٨٠
(٧) بحار الأنوار ١٠/٢٢٦-٢٢٧، الخصال لابن بابويه ص١٥٣-١٥٤.
(٨) انظر: منهاج عملي للتقريب (مقال للرافضي محمد الحائري - معاصر - ضمن كتاب «الوحدة الإسلامية»): ص ٢٣٣.

أو «سنة المعصومين»[9]، ولذا اتفقت كتبهم القديمة والمعاصرة على هذا المفهوم الباطني للبراءة، ففي كتاب «عقيدة الشيعة في الإمامية» المطبوع في سنة ١٣٩٧هـ لشيخهم المعاصر محمد باقر الأصفهاني، جاءت مجموعة من نصوصهم المسندة إلى معصوميهم - على حد اعتقادهم- لتقرر أن الدين عندهم هو الولاء لأئمتهم وشيعتهم والبراءة من مخالفيهم، وحين ساق الأصفهاني نصوص البراءة والولاء عندهم عقب عليها بقوله: «وقد ثبت بما مر من الأخبار الكثيرة الصريحة الأصلان: التولي، والتبري، وهما أصلان من أصول المذهب عند الإمامية، ومحل اتفاقهم»[10].

فلا يختلف المعاصرون من الشيعة عن الغابرين في الاهتمام بأمر البراءة - كما قلنا -، ولكن الجديد في مذهب الشيعة المعاصرين هو إعلان البراءة من المشركين في زمن الحج على أرض الحرم في المشاعر المقدسة، فإن الدعوة لذلك لم تظهر إلا على لسان آيات قم بعد ابتداع شيخهم الخميني مبدأ عموم ولاية الفقيه، ولذلك لا تجد في كتب الروافض المعتمدة لديهم ذكرًا لمسألة البراءة في شعيرة الحج، وإنما بدأ رفع شعار البراءة في الحج مع التطبيق العملي لمبدأ عموم ولاية الفقيه الذي يتم تطبيقه لأول مرة في حكومة الملالي الإيرانية، والذي تم بموجبه إخراج مهديهم الموهوم في صورة عشرات المعممين الذين باتوا يتولون سلطات الإمام المهدي الغائب بالكامل[11].

وفي نص طويل لهم يحظى بالقداسة - لأنه صدر عن المعصوم بزعمهم - خبر في غاية الأهمية، حيث يكشف لماذا اهتم شيعة عصرنا بدعوى البراءة، يقول خبرهم المزعوم: إن دولة المهدي التي يترقبون ظهورها في آخر الزمان تقوم على دعوة الناس إلى البراءة منهما[12]، أي من الخليفتين الراشدين، ويبدو أن نظرية عموم ولاية الفقيه التي ينادون بها في عصرنا تفرض عليهم القيام بهذه المهمة، وهي دعوة الناس إلى البراءة في فترة غيبة المهدي نيابة عنه، ولذا نادوا بإعلانها في أكبر تجمع إسلامي.

ولعلك تدرك حينئذ أن اشتراطهم واهتمامهم بإعلان البراءة في الحج لاعتقادهم أن من لم يتبرأ فلا دين له، وبالتالي فلا حج له!

(٩) انظر: دستور جمهورية إيران: ص٢٠.
(١٠) عقيدة الشيعة ١٤٥-١٤٦.
(١١) راجع مقالنا: «ولاية الفقيه .. الخطر الأكبر المجهول» عدد: ٣٣٣، مجلة البيان.
(١٢) انظر: بحار الأنوار ٥٣/٦.